طبق الاصل

مؤيد نعمة

نص تقرير مركز الدراسات الستراتيجية والدولية في واشنطن حول العنف في العراق

(٢-٦)

التمرد والاعمال المسلحة في العراق

الوضع عند نهاية عام ٢٠٠٤

بقلم : انتوني كوردسمان
ترجمة : زهير رضوان

دروس الصراع السياسية ، النفسية والمعلوماتية

هناك نقطة رئيسة يجب تذكرها وهي ان الاعلام ينحو إلى التركيز على الحوادث الدرامية ذات الخسائر المرتفعة ووصفها بأنها تغير مفاجئ في التكتيك. في الواقع ان أنماط نشاط التمرد تطورت بشكل واسع وأصبحت تتضمن مدى عريضاً من الاساليب التي تستخدم متى تجد مجموعة ما بأنها ملائمة، ويتم تكرارها وتشذيبها مع الوقت. لقد تعلم المتمردون الاساليب والتكتيكات التالية ذات الصلة بالصراع السياسي، النفسي والمعلوماتي:

❖الهجوم على المنظومات الحكومية والامنية باستخدام وسائل اديولوجية، سياسية وعنيفة:

استخدام الوسائل الاديولوجية والسياسة للطعن في شرعية الحكومة وعملية بناء البلاد. تخويف وتدمير القوات العسكرية والامنية. تخويف ومهاجمة المسؤولين الحكوميين والمؤسسات الوطنية والمناطقية والمحلية.

ضرب البنية التحتية، والمؤسسات ذات النفع العام، والخدمات وفق طرق تعمد على اظهار الحكومة وكأنها عاجزة عن توفير الخدمات الاقتصادية الأساسية أو الأمن الشخصي.

❖ انشاء تحالفات قائمة على المصلحة وشبكات غير رسمية مع مجموعات أخرى لمهاجمة الأمريكيين وعناصر مختلفة من الحكومة العراقية المؤقتة ومساعي بناء البلاد. تعمل الحركات وفق مبدأ (عدو عدوي) هو صديق مؤقت.

في الوقت عينه، تمنح الحركات (امتياز) تشكيل خلايا فردية ووحدات مستقلة، وتشكيل مزيج مختلف من الاعداء تصعب مهاجمته.

❖ ربط غير متناظر للصراع مع الجريمة والسلب، استغلال الفقر واليأس الاقتصادي، استخدام المجرمين في دعم الهجمات على البنية التحتية وعلى نشاط بناء البلاد؛ الحصول على تمويل، تقويض الوضع الأمني. استغلال البطالة في تقوية خلايا المتمردين والإرهابيين. طمس الفوارق بين قوى التهديد والعناصر الإجرامية والقوات العاملة بشكل جزئي.

❖ استغلال القنوات الفضائية العربية ووسائل الاعلام التقليدية:

لقد تعلمت حركات الاسلاميين والمتمردين كيفية الفوز باقصى عرض مشهدي في وسائل الاعلام الإقليمية، واستخدام شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، وفوق كل ذلك استغلال القنوات الفضائية الاخبارية العربية الجديدة.

❖ المحافظة على ستراتيجية الانهاك المتواصل، والضرب بقوة بحسب تواريخ تشكل نقطة تحول على اهداف ذات تأثير سياسي، واجتماعي واقتصادي عال:

لقد تعلم الاسلاميون والمتمردون أهمية الحاق خسائر بشرية بمعدل منخفض ولكنه ثابت وخلق مناخ عنف مستمر. وهذا يجبر الولايات المتحدة على بذل جهد أمني بمعدل عال وثابت، كما يجعل من الصعب على القوات العراقية الامساك بزمام الأمور، ويوقع ضغطاً متواصلاً على القوات الأمريكية والعراقية كي تنتشر؛ ويضمن تغطية إعلامية متواصلة.

في الوقت نفسه، اظهر المتمردون والإسلاميون قدرة متواصلة وكفوءة على استغلال العطل والانتخابات والاحداث السياسية الاخرى، وعلى استغلال أهداف حساسة في البلاد التي هي مسرح رئيس لعملياتهم وكذلك في الولايات المتحدة والدول الغربية. مثل مهاجمة الاحتفالات الدينية الشيعية والكردية.

❖ الضغط على (الازرار الساخنة) محاولة ايجاد اشكال من الهجوم يثير خوفاً ورعباً اكثر لاجبار القوات الامريكية والعراقية على ردود فعل مكلفة، مبالغ بها واستثنائية:

لقد اكتشف الارهابيون والمتمردون بأن الهجمات المخطط لها ايقاع تأثير سياسي ونفسي عال غالباً ما تكون لها فائدة اضافية في استثارة ردة فعل مبالغ بها. واستغلت حركة حماس، على سبيل المثال، تكتيكات كهذه خلال عملية السلام.

❖ السخرية من وسائل الاعلام الاقليمية والخارجية:

استخدام القدرة على اجراء مقابلات اعلامية، الاشرطة، احتجاز صحفيين كرهائن وقتلهم، والحشود المندفعة والسواق ومساعدي الصحفيين والقيام بهجمات ذات توقيت مناسب تستهدف التأثير على وسائل الاعلام الغربية. اضافة الى التأثير على تصريحات المسؤولين الامريكيين بطرح اسئلة معينة.

❖ استخدام الامريكيين والاجانب الآخرين كوكلاء:

ليس هناك من جديد في استخدام الامريكيين والاجانب الآخرين كوكلاء للانظمة المحلية، او مهاجمتهم لكسب الدعم لمواقف وقضايا اديولوجية. مع ذلك، هنالك نمو مطرد في المهارة في توقيت وطبيعة هجمات كهذه، وفي استغلال (الاهداف الناعمة) مثل رجال الاعمال الامريكيين في البلاد التي تشهد هذه العمليات، وفي ضرب اهداف امريكية وحليفة في البلاد الأخرى، او ضرب أهداف في داخل الولايات المتحدة، ومن الواضح ايضاً ان هجمات كهذه تحظى باهتمام سياسي وإعلامي أقصى داخل الولايات المتحدة.

❖ مهاجمة الامم المتحدة، المنظمات غير الحكومية، السفارات، موظفي الإغاثة والمقاولين الأجانب:

ان مهاجمة أهداف كهذه تقلل وبشكل كبير من القدرة على الشروع ببناء البلاد وفي العمليات التي تستهدف الاستقرار للفوز بقلوب وعقول العراقيين. ان مهاجمة الابرياء، او تقليص عملياتهم او دفع المنظمات الى مغادرة البلاد صارت محط اهتمام هجمات المتمردين والإسلاميين المتطرفين.

❖ خطف، قتل وترويع نساء و(كوادر) العاملين الاجانب:

ان قتل وخطف النساء، خاصة اللاتي يعملن في المنظمات غير الحكومية ومشاريع الاغاثة الانسانية يحظى باهتمام عظيم لدى وسائل الاعلام ويدفع بعض المنظمات الى مغادرة البلاد. ان خطف او قتل مجموعة من العاملين الاجانب يوقع ضغطاً سياسياً على حكوماتهم، ويحظى باهتمام وسائل الاعلام المحلية والاقليمية، وبعض الاحيان يدفع الحكومات الى منع مواطنيها من التوجه الى العراق.

❖ مهاجمة مجموعات دينية واثنية اخرى في العراق:

ان استهداف مجموعات أخرى مثل الشيعة والاكراد، واستخدام السيارات المفخخة لقتل الجموع، توجيه الضربات قرب المراقد المقدسة وفي الاحتفالات يجبر قوات الأمن إلى الانتشار أكثر، جاعلاً هذه المناطق تبدو غير آمنة، يقوض جهود الحكومة وتطرح احتمالية استخدام الحرب الأهلية كوسيلة لهزيمة جهود قوات التحالف والحكومة العراقية المؤقتة في اعمار البلاد.

❖ خطف وقتل وتخويف المتخصصين ووسائل الاعلام العراقية والانتليجينسا أو (القتل الغامض).

ان القتل والترويع المستمر المتخصصين ورموز الاعلام والانتليجنسيا يقدم سلسلة من الأهداف الناعمة التي يصعب حمايتها، وتصاعد عمليات القتل والترويج يجعل عمل الحكومة اصعب، يخلق مشاكل كبرى لقوات الأمن والشرطة، يضعف الاقتصاد، ويفاقم من المشاعر العامة حول عدم توفر الأمن إلى درجة يفقد فيها العراقيون ايمانهم في الحكومة العراقية والتحالف والعملية السياسية.

❖ هجمات الرعب والفظاعة والتنفير:

ان كانت التكتيكات قصدية أو غير قصدية فأن المتمردين في العراق وجدوا ارتكاب الاعمال الفظيعة مثل التمثيل بالجثث وقطع الرؤوس هي أسلحة فعالة سياسياً ونفسياً للمتطرفين الاسلاميين الذين يهدفون إلى فصل الغرب عن العالم الإسلامي وخلق (تصادم بين الحضارات) لا يمكن تجسيره.

لقد اشار الخبراء ومنذ زمن طويل إلى الاختلافات الرئيسة بين ارهاب المتطرفين الاسلاميين وبين الاشكال السابقة للإرهاب هي انهم لا يسعون إلى التفاوض مع أولئك الذين يرهبونهم، بل يسعون إلى خلق ظروف لأقصاء الغرب، تقويض الأنظمة العلمانية والمعتدلة في العالمين العربي والاسلامي، وخلق ظروف يستطيعون فيها خلق دول (إسلامية) طبقاً لافكارهم (التطهيرية) ولهذا فان هذه العمليات تخدم اهداف المتطرفين الاسلاميين، واهداف بعض المعادين للولايات المتحدة والغرب، في احداث خسائر كبيرة وشن هجمات واسعة، أو القيام بعمليات اعدام وقطع للرؤوس، حتى لو كان ذلك يثير العداوة والكراهية، ان هدف ابن لادن وامثاله ليس اقناع الولايات المتحدة والدول الغربية، انه يريد صرفهم عن العالم العربي الإسلامي حتى تتقوض القوى العلمانية في المنطقة بشكل حاد، وحتى يمكن السيطرة أو التخلص من التأثير العلماني الغربي. انه هدف اغلب المتمردين العراقيين أضيق من هذا بكثير. فهدفهم هو طرد الأمريكيين وحلفائهم من العراق. لكنهم. يستخدمون كثيراً من هذه الطرق.

وفي هذا السياق رأينا انه كلما كانت العملية أو الهجوم أكثر رعباً كان الهجوم أفضل، حتى لو أشتمل على قتل عسكريين عراقيين أو قوات الأمن والشرطة العراقية، ان الخسائر البسيطة لا تلقى اهتماماً اعلامياً ان هذه الخسائر من ماهية الحرب. ان قتل الرهائن الابرياء (وبعض الأحيان اطلاق سراحهم) يجذب اهتمام الاعلام العالمي. التفجيرات الكبيرة في أوساط الحشود تفعل الفعل ذاته، كما يفعل اختيار أهداف تحتل براءتها أو تاثيرها الاعلامي الصفحات الأولى. ان التمثيل بالجثث، قطع الرؤوس والافعال العنيفة المماثلة تحظى باهتمام أكثر لدى وسائل الاعلام ولو حتى حين.

هكذا افعال تنشر الغضب والتنفير في الولايات المتحدة والدول الغربية وتستثير ردود فعل سياسية واعلامية مفرطة، واجراءات أمنية أكثر صرامة، ورد فعل عنيف، وجميع الافعال التي تساعد على اثارة (التصادم بين الحضارات) وغالباً ما تقع الولايات المتحدة والدول الغربية في لعبة هذه الهجمات الاستفزازية.

في الوقت نفسه، فان أية هجمة أو حادثة تثير تغطية اعلامية واسعة وردود فعل سياسية كبيرة تبدو ك(نصر) لاولئك الذين يدعمون التطرف الإسلامي أو أولئك الغاضبين بحق على الولايات المتحدة حتى لو كانت الخسائر البشرية ضئيلة أو ان (النصر) لا يخلق قوات قوية أو يحقق سيطرة سياسية.

❖ حرمان الحكومات المحلية والإقليمية والمركزية من بسط الشرعية. مهاجمة أهداف بناء البلاد وعوامل الاستقرار:

ليس هنالك جديد في مهاجمة الأهداف الاقتصادية الرئيسة، البنية التحتية مفاصل الحكومة الحاسمة في إدارة شؤون الدولة كمحاولة لتعطيل اقتصادها، تقويض فرص القانون والأمن وتشجيع عدم الاستقرار. ان هجمات المتمردين والإسلاميين العراقيين على مشاريع الإغاثة وموظفيها، ودورهم في تشجيع النهب، التخريب، والسرقة تظهر بوضوح حنكة متنامية في مهاجمة مساعي الاستقرار والتقدم الفعلي التي تقدمها الحكومة ومنظمات الإغاثة. ان هذه التكتيكات تتفاعل بشكل متوافق مع التكتيكات السالفة.

❖ التشويش على هوية المهاجم؟ استغلال نظريات المؤامرة:

أدرك المتمردون، الإسلاميون بان خليطاً من الصمت والادعاءات المتعددة حول الهجمات، واستعمال أسماء منظمات جديدة والانتماءات غير المحققة على وجه الدقة، تجعل من الصعب على الولايات المتحدة ان تقوم بالرد. كما حصلوا على تغطية إعلامية أكبر.

مع ذلك، فأن الاعلام الكاذب والحقيقي عن العمليات كان محدوداً. في العراق، كما في أماكن أخرى، عادة ما تصاحب الهجمات ما يبدو أنه مساع قصدية لتقديم نظريات مؤامرة للتشويش على هوية المهاجم أو ايجاد سبل لتوجيه اللوم على من يدافع عن الولايات المتحدة إضافة إلى ذلك، تتهم نظريات المؤامرة الولايات المتحدة بأنها فشلت عن عمد أو عن اهمال في توفير حماية مناسبة.

❖ السعي لخلق ملاذ مثل الفلوجة، مأوى في الجوامع والمراقد المقدسة، وفي أهداف عالية القدر، وفي أهداف ذات أثر ثقافي رفيع:

من جهة ثانية ان استغلال المرافق الدينية، الثقافية وذات الحساسية السياسية لا يعد تكتياً جديداً، مع ذلك، وكما أظهرت العمليات العسكرية فان التكتيكات رفعت من درجة الصورة الإعلامية، خلقت رادعاً دفاعياً، ويمكن استغلالها لجعل الولايات المتحدة تبدو معادية للاسلام أو لتبدو وكأنها تهاجم (ثقافة) وليست (حركة).

❖ استغلال وتشويه والمبالغة في الهجمات الأمريكية التي تسبب خسائر مدنية واضرار مصاحبة، وفي النيران الصديقة ضد حلفاء محليين، وفي الحوادث التي يمكن ان تلام فيها الولايات المتحدة كونها ضد العرب وضد الاسلام لقد وجد الإرهابيون والمتمردون ان بامكانهم استخدام الاعلام، الاشاعة، ونظريات المؤامرة لاستغلال حقيقة ان الولايات المتحدة غالباً ما تخوض معركة عسكرية دونما اعتبار للحقيقة في ان الولايات المتحدة تخوض أيضاً حرباً سياسية اديولوجية ونفسية.

ان الحوادث الحقيقية لسوء تصرف الولايات المتحدة مثل المعاملة السيئة للمحتجزين والسجناء، والإهمال في الإجراءات الأمنية هي أمثلة على ما نقول وكثيرة هي التصريحات المنمقة غير المدروسة، السياسية والاعلامية، التي يدلي بها المسؤولون الأمريكيون والضباط العسكريون.

ان ابن لادن، والمتمردين العراقيين، يحققون فائدة من كل اجراء غربي يثير غضب واحباط العالم العربي والاسلامي. انهم لا يقاتلون من اجل التأثير في الرأي العام الغربي، انهم يخوضون حرباً سياسية ونفسية للهيمنة على العراق والعالم العربي والاسلامي.

غدا الحلقة الثالثة..

دروس حول طرق الهجوم

هبوط نسبة الملونين

في القوات المسلحة الأمريكية

لقد خدم والد دولي ويلسون بفخر في الحرب العالمية الثانية كما خدم زوجها في فيتنام. غير ان اطفالها لن يلتحقوا بالقوات المسلحة ان كان لها سلطة للبت في ذلك. (فنحن لا نريد لأولادنا ان يذهبوا في حالة من اللا حرب من اجل لا شيء)، كما قالت السيدة ويلسون، وهي تختطف سيجارة مع زميلات لها خارج مكتبها بواشنطن. وأضافت قائلة: (ان لبوش ابنتين. فلتذهبا وتقاتلا)، معقبة بذلك على ترنيمة (تلك ليست حربنا) من الاخريات والآخرين.

ولقد خدم جيمس غولادي في حرس السواحل الأمريكي، لكنه لن يشجع أبنية المراهقين إذا ما عادا للبيت وهما يتحدثان عن التجنيد، قائلا: (لا أود لهما ان يمرا بشيء كهذا)، وهو يجتار مكتب تجنيد للجيش الأمريكي في الشارع ١٤، بواشنطن.

اما كونستانس ألين، فقد خدم زوجها، وجدها، وعمها، وابنها جميعاً في القوات المسلحة، لكنها لن تدع حفيدها يلتحق بها (ابداً).

والسيدة ويلسون، والسيد غولاري، والسيدة ألين هؤلاء ليسوا نموذجاً لأمريكا بوجه عام، إلا ان آراءهم هذه كافية لاعطاء البنتاغون سبباً للتنبه. لماذا؟ لأن جميع هؤلاء الثلاثة سود.

فلسنوات، شكل الأمريكيون السود العمود الفقري للجيش الأمريكي المكون كلياً من المقطوعين، شاغلين ربع مراقبة، بالرغم من ان السود لا يشكلون إلا ١٣ بالمئة من السكان. وهم الأكثر احتمالاً ان يتعاملوا مع الجيش باعتباره مهنة العمر. فثلث العرفاء وضباط الصف الكبار في السن من السود. وفجأة، يتغير ذلك.

وبصرف النظر عن هبوط مفاجئ حصل في الشهرين الماضيين في التطوع للحرس الوطني بدوام جزئي، فان تجنيد الجيش ظل ثابتاً تقريباً خلال ٢٠٠٤، بمساعدة اضافيات التطوع المتزايد والدعوة المبكرة لبعض الشباب المتوقع دخولهم أصلاً التدريب الأساسي هذا العام. غير ان حصة المجندين السود للخدمة في الجيش كانت بنسبة ١٥,٦ بالمئة فقط، هابطة من ٢٢,٣ بالمئة في السنة المالية ,٢٠٠١ اما في احتياطي الجيش ذي الدوام الجزئي، فان الهبوط كان أشد.

ويتجنب مسؤولو الجيش التحسب فيما يتعلق بالانهيار في تجند السود، منتبهين بدلاً من ذلك إلى ما يدعونه بالتطور الايجابي، وذاك ان أرقام الجيش ستعكس الآن تركيبة المجتمع على نحو أفضل، وخلف الستار، هناك مخاوف أكثر، وفقاً للبروفيسور ديفيد سيغال، وهو عالم اجتماع عسكري في جامعة ميريلاند، حيث قالك (إذا كان هناك سود اقل يدخلون الخدمة. والسود هم الذين يبقون ليصبحوا ضباط صف. فبعد بضع سنوات يمكنك ان تتوقع نقصاً في العرفاء).

وقال البروفيسور تشارلس موسكوس، خبير القوات العسكرية في جامعة نوروبسترن في شيكاغو، ان الانحدار قد بدأ حتى قبل حرب العراق، مع انتخابات الرئيس جورج بوش عام ٢٠٠٠ في وجه الكراهية السوداء الغامرة، وهو موقف لا يزال متبقياً حتى اليوم.

هذا العداء ازداد بصورة دالة مع غزو العراق، الذي عارضته اغلبية كبيرة من الأمريكيين السود، وسط تشكك في الأسباب المعطاة لإطاحة صدام وغضب من صرف بلايين الدولارات وراء البحار، وليس في الوطن.

وقد أشارت السيدة ألين إلى الشوارع، التي ضربتها الأمطار في واشنطن، وهي المدينة الكبيرة الفقيرة السوداء بشكل رئيس اليت يصادف أنها ايضا عاصمة الأمة، قائلة: (انك تجد الكثير من الناس المشردين هنا، لقد كانوا في القوات المسلحة، نصفهم انظر إلى هذا، فالناس يتساءلون: لماذا ينبغي ان اخوض حرب الرجل الأبيض في حين لا نملك شيئاً هنا؟).

وقال السيد غولادي ان السود يميلون للالتحاق بالقوات المسلحة من اجل وظيفة مستقرة، ومنح دراسية جامعية وفرصة لتعلم مهارات ذات قيمة.

واحصاءات البنتاغون من عام ٢٠٠٣ تدعم كلامه هذا، مبينة ان ٦٧ بالمئة من الجنود السود خدموا في وحدات الاسناد أو المؤخرة، حيث عملوا كفنيين، ومساعدين طبيين، وكتبة وطباخين، و١٦ بالمئة منهم فقط كانوا في وحدات قتالية.

وحين سألنا السيد غولاداي لماذا كان السود يختارون وحدات الخطوط الخلفية؟ أجاب: (كان الناس ينظرون إلى العسكرية كطريقة للحصول على المنافع. فهم يريدون التحول إلى الحياة المدنية فيما بعد. وان تكون من حملة البنادق ليس بالشيء الذي سيدفع الناس اجراً كبيراً عنه) ثم قال ضاحكاً: (ولا هم يريدون ان يموتوا!).

والعصيب في الأمر ان هناك لدى الأجيال الأكبر سناً أيضاً ذكريات مريرة عن حرب فيتنام، التي يرى الناس ان السود قد تحملوا فيها عبئاً غير عادل من الاصابات وقد تحدث مارتن لوثر كنغ عنها بكونها حرباً خاضها ملونون ضد ملونين لمصلحة البيض.

وقالت كيلا روتش، وهي امرأة سوداء: (اعرف اسراً يود أولادهم الالتحاق بالقوات العسكرية، وآباؤهم يقولون لا. وربما كان لديهم واحد أو اثنان والامر مفزع لهم).

وقد انتشر وسط الأمريكيين السود إدراك بأنه في الحرب على الإرهاب تتساوى وحدات الصفوف الخلفية مع فرق المشاة الأمامية في التعرض للأذى.

وقد دافع البروفيسور موسكوس عن القوات العسكرية الأمريكية باعتبارهم واحدة من أكثر المؤسسات الكبيرة اندماجاً من الناحية العرقية، قائلاً: (ان الجيش ليس يوتوبيا إلا انه المكان الوحيد الذي يترأس فيه السود البيض هنا وهناك بشكل روتيني).

اما بالنسبة للسيد غولادي، فان القوات المسلحة ليست المشكلة، (فالناس يفهمون جميعاً انهم يمكن ان يذهبوا للحرب. ولكن هذه الحرب الآن، لا اشعر أنها ضرورية.

ترجمة : عادل العامل
عن : الديلي تلغراف